اللغة والشخصية

Agung Heru Setiadi[1]

مستخلص البحث :

الأسلوب الذى يستخدمه الإنسان فى الكلام أو فى الكتابة يعبر عن سمات معينة لجوانب من شخصيته, فسوف أقوال الإنسان فى نواحى معينة, يكشف عن كثير من سمات شخصية. وللحكم على شخصية فرد معين بالنسبة لما يستخدمه من لغة, نحتاج إلى دراسة جميع ما يصدر عنه من كلام, وفحص هذا الكلام من نواحى عديدة, إذ يمكن تعريض الفرد لمواقف مختلفة وتسجيل أحاديثه وأقواله, كما يمكن الحصول على نماذج من التعبير الكتابى, وتحليل النتائج من حيث التحقق من استخدام الصيغ النحوية والصرفية وانتقاء المفردات والسرعة فى السرد والكتابة وعدد الكلمات المستخدمة والمعانى الواردة وغير ذلك من المعايير المختلقة التى استخدمها فى دراسة عن اللغة والشخصية.

الكلمات الأساسية : حوار، لغة نفسي، لغة لفظية.

[1] Pendidikan Bahasa Arab Institut Agama Islam Negeri (IAIN) Sultan Maulana Hasanuddin Banten

أ. مقدمة

ومن المعروف في علم اللغة أن أيّة لغة لا تحلو من الأصوات (Phonologie) وبنية الكلمات (Morphologi) والتركيب أو النحو (Sintaxe) ودلالة المعنى (Semantics) وكذلك الأسلوب أو البلاغة (Stylistique)[2]. إنّ اللغة العربية لها خصائص تمتاز بها عن أخواتها من اللغات السامية بوجه خاص وعن كثير من اللغات الأجنبية بوجه عام. وهذه الخصائص لا تخرج عن عناصر اللغة المذكورة. من ناحية عدد المفردات، تصل الألفاظ أو الكلمات المستعملة في اللغة العربية إلى خمسة ملايين وتسعة وتسعون ألفا وأربعمائة، وكذلك أن اللغة العربية تمتاز في الأصوات عن أخواتها السامية لأنها أكثر احتفاظا بالأصوات السامية، كما أنها أيضا تتميّز من قواعد البنية أو الصرف. وكذلك الإعراب أبرز خصائص العربية وأسرارها لأنه لا يوجد في أية لغة من اللغات في العالم.

إن اللغة ألفاظ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[3]، وكذلك أن اللغة فكر ناطق، والتفكير لغة صامتة. واللغة هي معجزة الفكر الكبرى. وإن للغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة فإنها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم. إن القوالب اللغوية التي توضع فيها الأفكار، والصور الكلامية التي تصاغ فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقا عن مضمونها الفكري والعاطفي. وإن اللغة هي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها. وقد قال فيلسوف الألمان فيخته "اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لقوانين، إنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان". فاللغة العربية هي ألفاظ يعبر بها العرب عن أغراضهم. والعناصر اللغوية كما يلي :

- الأصوات

  إن اللغة العربية تمتاز عن اللغات الأجنبية في الأصوات، ويظهر ذلك أن صوت كل حرف من الأحرف العربية لا يتغير دائما مع أن موقعه ودوره في الكلمة يتغير. وهذا بالنسبة إلى اللغة الإنجليزية التي يتغير صوت الحرف (الفونيم) بتغير الحرف في الكلمة[4].

- مفردات اللغة العربية

  ومما تمتاز به اللغة العربية أنها أوسع ثروة من أخواتها السامية في أصول الكلمات والمفردات، لأنها

[2] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، (القاهرة، دار النهضة)، ص 164.

[3] أحمد الإسكندرى، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، القاهرة، دار المعارف، 1916م، ط 18، ص 3.

[4] عباس محمود العقاد في : نايف محمود معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، بيروت، دار النفائس، 1991م، ص. 50.

تشتمل على جميع الأصول التي اشتملت عليها أخواتها السامية أو معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة ولا يوجد لها نظير في أية لغة من أخواتها[5].

- قواعد البنية (الصرف)

من المميزات العربية المهمة قواعد البنية أو الصرف وترجع إلى الأمور الآتية : نظام جمع التكسير، أن الأصل الواحد في العربية يتوارد عليه مئات من المعانى، ورود بعض الأوزان العربية كثيرة، وهذا للدلالة على معان خاصة، فمن ذلك أوزان أفعال الماضى والمضارع والأمر وأوزان اسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول وأفعل التفضيل والتعجب واسم الآلة والمصدر واسم الزمان والمكان وجموع التكسير[6].

- الإعراب (النحو)

قال صبحي الصالح "لم يرتب أحد من اللغويون القدامى في أن الإعراب من خصائص العربية، بل أشد هذه الخصائص وضوحا، وأن مراعاته في الكلام هي الفارق الوحيد بين المعانى المتكافئة"[7].

- علم الدلالة

وهو قسم من علم اللغة العامة الحديث، يبحث فيه نظريات في فهم معاني الكلمات والجملة والكلام في كل لغة في العالم، ومن بينها اللغة العربية، ويحتصر البحث في هذه على النقط الأتية، الاشتراك اللفظي ثم التضاد ثم التعريب.

- الأسلوب (البلاغة)

للعربية أساليب كثيرة يضيق المجال عن حصرها في هذه المقالة البسيطة، لذا سأقتصر على بعضها تاركا لمن أراد التوسع، الرجوع إلى أمهات الكتب في هذا المجال، فبناء على ذلك أخص هنا في أهم الأساليب العربية وهي الإيجاز.

ب. السلوك اللغوى

قدرة الإنسان على الكلام تميزه عن سائر المخلوقات. بل يمتاز الإنسان أيضا بقدرته على إدراك الواقع, وتصوره للوضع القائم, وشعوره بكل ما يحيط به.

والسلوك اللغوى يتلقى روافده, ومواده الأولية من منطقة الشعور فى الذات كما أنه يتلقى أيضا إشارات وتوجيهات من منطقة اللاشعور.[8] وفى الأمور العادية فى الحياة يكون شعور المرء هو المحرك لأمور حياته, بينما عند الأزمات وفى الأمور التى

[5] فرحان السليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، بيروت : دار الكتب العلمية، ط. 1، 2010. 2001م، ص.5.

[6] على عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 216-217.

[7] انظر صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، بيروت: دار العلم للملايين، ط 6، 1976م، ص 292-293.

[8] المرجع نفسه, ص: 271.

تحتاج إلى تأن وترو فى اتخاذ القرار المناسب, يعتمد الفرد على الجانب اللاشعورى مع الشعورى أيضا حيث يصغى إلى أعماق ذاته ويقلب الأمر ويحكم ضميره ووجدانه فيما سيفعل.

يعتمد الإنسان فى سلوكه اللغوي على أحاسيسه الحاضرة, أو على ما يراود عقله من واقع خبراته الماضية, وما اكتسبه من تجارب, حيث يتريث الفرد (العادى) فى اختيار ما يعبر به عما يشعر به أو عما يتناسب والموقف الذى يواجهه. وعندما يسر الإنسان بظروف غير طبيعية, فقد لا يتحكم فى أحاسيسه وانفعالاته, وقد يضطرب تفكيره, فيخفف صوت الضمير والعاطفة, وقد تظهر الأوهام والوساوس, وعند ئذ يضطرب السلوك اللغوي.

ج. الحوار الظاهر والحوار الباطن

الكلام قد يكون حوارا ظاهرا علينا كحديث الشخص لآخر, أو حديث الشخص لنفسه بصوت مسموع. وقد يكون الحوار باطنى خفي يجرى فى تيار الشعور النفسى ويدركه الفرد حينما يقف وقفة عقلية ليتأمله, كما يحدث فى عملية الاستبطان, أو قد يستمر. بإرادة الفرد أو بغير إرادته.

ومن الأفراد من يستعيض عن الحوار الباطنى بالصور العقلية المختلفة فيصبح شعوره تيارا متصلا من صور بصرية أو سمعية أو غيرها من الصور الحسية. وقد تكون الصور حركية ديناميكية, وقد تكون مزيجا من ذلك كله. فالإشارة والإيماءة مظهر من مظاهر الصور الحسية الحركية الباطنة, والكلام المسموع مظهر لكلام خفى باطنى ومختلف الأفراد فى حوارهم الظاهر والباطن اختلافهم فى بناء شخصياتهم بمختلف مكوناتها.

د. اللغة اللفظية ووظيفتها فى التآلف الاجتماعى

الحوار Dialogue هو إحدى صور اللغة اللفظية, وهو مظهر واضح للدافع الإنسانى للتجمع. والصمت Silence يلقى فى العادة فى روع الناس لونا من ألوان الفزع والخوف. ولا تزال بعض القبائل البدائية الهمجية تعتبر الغريب الذى لا يتحدث لغتها عدوا طبيعيا لها واشتراك أهل الإقليم الواحد فى لهجة متميزة يعد مظهرا من مظاهر الوحدة الاجتماعية, أو إحدى الوسائل الأولى للتعارف[9]. ويهدف الحوار وهو فى أبسط صوره إلى التآلف الاجتماعى, وبذلك تبدو لغته سهلة فياضة, ولا يجد المتحدث حرجا فى أن يلقى القول على عواهنة دون منطق واضح أو فكرة عميقة, وإنما كل ما يعنيه هو أن يشعر رفيقة بضرب من ضروب الألفة الاجتماعية, ومثل ذلك الأحاديث العابرة التى تنشأ أحيانا بين زملاء الرحلة فإنها فى العادة تتناول أمورا عارضة كالاستفسار عن

[9] فؤاد البهى السيد, علم النفس الاجتماعي,(دار الفكر العربي, 1945م), ص: 16/6.

الصحة, والتعليق على حالة الجو, وتأكيد بعض البديهيات. وقد يستطرد المتحدث فى كلامه فيروى قصة حياته بعد أن يضفى ألوانا عاطفية مختلفة بينها ينتظر زميله دوره على مضض ليروى هو الآخر قصة حياته.

وهذه الأحاديث الخاصة باللغة اللفظية ليس لها هدف المعرفة أو الإيضاح وإنما تهدف من الناحية الاجتماعية إلى الألفة والائتناس.

هـ. الحوار وأنماط الشخصية

ينقسم الأفراد فى أساليب حوارهم إلى أنماط مختلفة فمنهم المنطوى على نفسه, وهو يعزف عن الحوار مثلما يعزف الاختلاط بالناس, ويبتعد عن النقاش مع غيره, وإن كان فى أعماقه يريد أن يتكلم ليعبر عما يضيق به صدره, وقد يرغب فى أن يستفيض ويستطرد فى لغوه وهذره وثرثرته لإظهار أحاسيسه ومشاعره, ويكشف عما فى فؤاده.

ومنهم الخجول, وهو إنسان يرغب فى الحوار, ويتمناه حتى إذا اتيحت له الفرصة تنحى عنها وصمت, ثم يعود على نفسه بعد ذلك باللوم والعتاب.[10] والخجل اتجاه نفسى خاص وحالة عقلية تتميز بالشعور بالضيق عند اجتماع الخجول بالناس, وفى محاولته الدائمة لكف ومنع بعض الاستجابات الاجتماعية العادية. وقد يكون الخجل هروبا من الواقع وتجنبا له, فهو بذلك مظهر للمرض النفسى المعروف باسم انفصام الشخصية Schizophrenia.

وقد يكون الخجل سلوكا خاصا لتجنب أحاديث الثقلاء من الناس, وقد يكون مرجعة عجز فى القدرة اللغوية عند الفرد, حيث يحول عجزه بينه وبين صياغة أفكاره صياغة لفظية واضحة, فيشعر بالحرج فى حواره مع غيره, فيبتسم لمحدثه بدل أن يجاذبه الحديث, ويبالغ فى ابتساماته حتى تبدو شاذة غريبة, ويبدى اهتمامه بالحديث وهو يود من أعماق نفسه لو أن بينه وبين محدثه أمدا بعيدا. وقد يكون مرجع الخجل إلى شعور الفرد بأن محدثه ينتمى إلى مستوى ثقافى أو اجتماعى أرقى منه فهو يخشى فى حديثه معه أن تبدو منه عبارة تنبئ عن بعض نواحى عجزه.

ومن الناس من يبالغ فى الحديث عن نفسه والإشارة إليها صراحة فيكثر من قول "أنا", أو يشير إلى نفسه من قريب أو بعيد بأساليب مختلفة. وتلك صفة نفسه تدل على الأثرة وحب الذات.

و. اللغة من الناحية الاجتماعية

اللغة أولى وسائط الحياة الاجتماعية, واللغة التى نتعلمها إنما هى من نتاج المجتمع, فهو صاحب الفضل الأول فى فصاحة اللسان وفى تنمية فكر الإنسان وفى تعليمه

[10] المرجع نفسه, ص: 63/61.

وتهذيبه. ويبدو أثر المجتمع فى لغة الفرد عندما نفحص حالات البكم الصم أو من يعانون من اضطرابات لغوية والاضطرابات اللغوية مرجعها عيوب فى[11] :

1. اللغة الخارجية وهى اللغة التى نتعامل بها فى المخاطبة وفى الكتابة.
2. اللغة الداخلية وهى اللغة التى تحمل إلينا الإحساسات الداخلية والإشارات والتوجيهات الواردة من الضمير, وهى التى تنادى علينا باتباع هذا أو ترك ذاك.

ويهمنا ما يتصل بعيوب اللغة الداخلية والتى تقترن بها اختلالات فى التلفظ بالمفردات أو فى تذكرها. فالبكم لا ينتج من حالة مرضية, بل إن الطفل السوى عقليا وبدنيا يمكن أن يصاب بالبكم إذا عزل عن الوسط الاجتماعى, أولم يجد من يخاطبة من البشر.

فاللغة لا يمكن أن تكتسب بدون وسط اجتماعى, فقابلية الطفل المعزول عن الوسط الاجتماعى للتكلم متوفرة طالما أن إمكانياته العقلية سليمة. وقد تكون العزلة Segregation التى يفرضها بعض الأباء على أبنائهم الصغار, حيث يمنع بعض الأباء أبنائهم من معاشرة أقرانهم وجيرانهم, قد تكون هذه العزلة سببا فى تأخير النمو اللغوى السوى.

وكيثر من الأطفال المصابين بتلعثم اللسان وضعف البيان مرجع هذا لديهم التربية الخاطئة وعزلهم عن اللعب والحركة ومعاشرة من فى أعمارهم فى سنهم المبكر. والتنشئة الاجتماعية لها أثرها البارز فى تكوين الشخصية الأساسية للفرد وتلعب اللغة دورا كبيرا فى تطبيع الفرد من الناحية الاجتماعية.

وهناك تشابه كبير بين حالات الأطفال المحرومين من عملية التنشئة الاجتماعية وبين بعض الاضطرابات العقلية, وقد وجد "ايتارد" وهو عالم فرنسى, وجد طفلا ضالا فى إحدى الغابات الفرنسية فى أعقاب الثورة الفرنسية, وحاول تدريب الطفل وتعليمه, وتمكن بعد جهد كبير من تعليمه الكلام والقراءة البسيطة, إلا أن الطفل فشل فى عملية التكيف الاجتماعى لعدم اتصاله باللغة منذ الصغر, كما أن تعليمه لم يتقدم, وتبين فيما بعد, أن الطفل كان ضعيف العقل مما فشلت معه الجهود المبذولة لتنشئته اجتماعيا.[12]

ومن الحالات المعروفة أيضا حالة "كاسبر هاوسر" الذى سجن منذ طفولتة إلى أن أصبح عمره 17 عاما, وقد فشلت محاولات تحويله إلى إنسان متوافق, قادر على التفاعل الاجتماعى. أيضا قصة الطفلتين "امالا وكمالا" اللتان وجدتا تعيشان مع جماعة من الذئاب سنة 1921 بالهند, وكانتا

[11] عبد المجيد أحمد منصور, مرجع سابق, ص: 274.

[12] المرجع نفسه, ص: 275.

عاريتان تمشيان على أربع وتعوى كل منهما كالذئب, وتأكلان بشراسة كالذئاب. وقامت إحدى الهيئات برعايتهما, فكان طعامهما المفضل اللحم واللبن, وكانت رؤيتهما فى الظلام أكثر, وعند شعورهما بالعطش كانتا تلعقان شفتيهما, وتخافان من النار وتكرهان ضوء النهار. وأمكن تعليمهما بعض الكلمات بصعوبة, وكان تفاعلهما الاجتماعى محدودا للغاية. وعندما توفيت "أمالا" شوهدت "كمالا" تذوف ظلالا خفيفة من الدموع, ولم يكن هناك تعبيرات واضحة فى الوجه.

من هذا يتبين أن الإنسان إذا حرم من الرعاية الاجتماعية, فإنه ينشأ خاليا من صفات وسلوك البشر. والتعلم هو الوسيلة الأساسية للتنشئة الاجتماعية. وطفل الإنسان يخضع أولا فى منزله للتطبيع الاجتماعى. وتعتبر اللغة الأساس الرئيسى فى عملية التنشئة الاجتماعية, حيث عن طريقتها يتعلم الأكل والنوم والإخراج وضبط التبول, كما تؤثر وسائل ووسائط التنشئة الأخرى فى نموه, حيث تلعب المدرسة والصحف والإذاعة والتليفزيون دورا هاما فى التنشئة الاجتماعية, وعن طريقها جميعا وما يتعلمه من لغة الحديث والكتابة والقراءة يتفق أسلوب سلوكه مع أساليب الجماعة التى ينشأ فيها.

ز. الإصابة بالصمم والبكم وأثرها على الشخصية

الأطفال المصابون بالصمم أو العمى يعتبرون ممن يعيشون في عزلة عن اللغة. والعزلة هنا تعني وجود حاجز يحول بينهم وبين الأصوات والرموز اللغوية. والإصابة بالصمم إما أن تكون كلية أو جزئية. وعندما يصاب الطفل السوي بالصمم، فإنه قد يكون مرجع هذا إلى ضعف المستوى العقلي، بينما الطفل الأصم الأبكم يرجع عدم قدرته على الكلام إلى إصابته بالصمم منذ لاولادة أو قبل أن يصل إلى السابعة من العمر (فإن اللغة التي يتعلمها قبل السابعة قابلة للنسيان التام).[13] وقد يكون الصمم ناتجا من إصابة خلل في بعض مناطق المخ.

والإصابة بالصمم إما أن تكون كلية أو جزئية. وعندما يصاب الطفل السوى بالصمم, فإنه قد يكون مرجع هذا إلى ضعف المستوى العقلى, بينما الطفل الأصم الأبكم يرجع عدم قدرته على الكلام إلى إصابته بالصمم منذ الولادة أو قبل أن يصل إلى السابعة من العمر, فاللغة التى يتعلمها قبل السابعة قابلة للنسيان التام.[14] وقد يكون الصمم ناتجا من إصابة أو خلل فى بعض مناطق المخ, ومثل هؤلاء الأفراد لا ينقصهم

13 حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م) ص: 289.

14 عبد المجيد أحمد منصور، مرجع سابق, ص: 276.

المستوى العقلى المناسب, بل إن بعضا منهم يمكن تنمية لغته الداخلية.

هذا وقد أمكن لهؤلاء الأفراد من الوصول إلى مراكز مرموقة فى المجتمعات التى عاشوا فيها. وعلى المربين مراعاة المبادرة بتعليم اللغة للأصم الأبكم عندما يبلغ عامين ونصف من العمر, ويعتمد فى تعلم اللغة على السماع إذا لم يكن الصمم كاملا أو على كل ما يستعاض عن السماع, كالقراءة بتحريك الشفاة وتحسس اهتزازات الحنجرة, ويحتاج ذلك إلى صبر وترو من الشخص المعالج أو من الأم التى قد يصعب عليها أن ترى ابنها معقود اللسان.

ورغم أن الأصم الأبكم يستخدم لغة الإشارات ويعتمد على الحركة فى التعبير عما يريد, فإن اللغة التى يستخدمها تكون فقيرة فى مفرداتها, ضعيفة فى تراكيبها النحوية, قاصرة فى أساليبها البلاغية.

هذا وعند استخدام الاختبارات غير اللفظية كالرسوم والصور وتركيب أشياء معينة, كما هو متبع فى علاج حالات مرضية, والكشف عن القوى العقلية فى العيادات ومراكز الاختبارات النفسية, ثبت من هذه الاختبارات أن الصم البكم لديهم تأخر فى النمو العقلى, وفى هذا ما يؤكد أهمية اللغة وأثرها الكبير فى تنمية النشاط العقلى.

إن التفكير فى مدارجه ومستوياته المختلفة وهو ما يمتاز به النشاط العقلى البشرى عن سائر المخلوقات, لا ينمو إلا عن طريق اللغة. فاللغة هى أداة الفكر وكل منهما مكمل للآخر فى بناء الشخصية. وما التقدم الذى أحرزه الإنسان فى مختلف ميادين العلم, إلا مرجعه اللغة وإن تعددت وتباينت مجالات اللغة فى شتى ميادين المعرفة.

المراجع

أحمد الإسكندرى، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، القاهرة، دار المعارف، ط 18، 1916م.

علي عبد الواحد وافي، *فقه اللغة*، القاهرة، دار النهضة، د.ت.

عبد المجيد أحمد منصور، *علم اللغة النفسي*، الطبعة الأولى، رياض: مطابع جامعة ملك سعود، 1982م.

حنفي بن عيسى، *محاضرات في علم النفس اللغوي*، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م.

فؤاد البهى السيد، *علم النفس الاجتماعي*، القاهرة : دار الفكر العربي، 1945م.

فرحان السليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، بيروت : دار الكتب العلمية، ط. 1، 2001 .2010م

صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، بيروت: دار العلم للملايين، ط 6، 1976م

عباس محمود العقاد في : نايف محمود معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، بيروت، دار النفائس، 1991م